رسالة يعده فيها باسم حكومة جلالة الملك بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد يختلط عليه الأمر أكثر لو أشرت إلى آخرين من أبناء وأحفاد تلك العائلة. (هذا موضوع آخر قد يتسع المجال للخوض فيه، أو لا يتسع). المهم أن يعرف القارئ أن روتشيلد بلفور حفيد روتشيلد قناة السويس، وهو ما يفسر التشابه الواضح في الشكل، فكلاهما سمين، له وجه ممتلئ مدور، وعينان صغيرتان، وجبين يبدو أعرض أو أضيق بمقدار انحسار الشعر. كلاهما كان عضوا في البرلمان البريطاني، وإن خيَّب روتشيلد بلفور آمال الأسرة إذ لم يعمل في مجال الاستثمارات والبنوك كجده وأبيه وأعمام أبيه، بل انصرف إلى التاريخ الطبيعي وجمع الفراش والحشرات النادرة وما شابه. وكان هذا الحفيد، عندما وفر الجد المال اللازم لشراء أسهم قناة السويس، في السابعة من عمره، يمارس على الأرجح ولعه باصطياد الفراش.

نترك سيرة الروتشيلديَن لنعود إلى الوجه الفائز حتى بعد أن فارقته الحياة. لم يكن لفوزه أن ينتظر موته لكي يعلن عن نفسه. بعد خمسة أشهر من شراء الأسهم، وكان بنجامين يواصل كتابة رسائله لقاسية القلب سلينا وأختها آن الأكثر تجاوبا، تقرر إنشاء صندوق للدين في مصر الغارقة في دَيونها، وأصدر إسماعيل الحالم بجعل مصر قطعة من أوروبا مرسوما في ٢ مايو عام ١٨٧٦ يقضي بإنشاء الصندوق لتسلم المبالغ المخصصة للديون، و«هي إيرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط، وعوايد الدخولية في القاهرة والإسكندرية وإيراد جمارك الإسكندرية والسويس وبور سعيد ورشيد ودمياط والعريش، وإيراد السكك الحديدية، ورسوم الدخان، وإيراد المصلح (ضريبة الملح) ومصايد المطرية (الدقهلية)، ورسوم الكباري، وعوائد الملاحة في النيل، وإيراد كوبري قصر النيل، وإيراد أطيان الدائرة السنية».

أغلق الناظر دفتره بغتة، وجد نفسه في طريقه إلى الشارع.

لم يقطع الشارع إلى شارع قصر النيل بل اتجه يمينا إلى ميدان الفلكي. سار